

قضايا الشباب المسلم

أنور الجندي

دار الاعتصام

قضايا الشباب المسلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قضـــايا الشـــباب المسلم

تدور فى نفوس شـــبابنا وفى أذهانهم وعلى ألسنتهم كلمات حائرة وتساؤلات مستقيمة ، عن كثير مما يقرأون فى كتابات مترجمة تملأ الأسواق والمكتبات جاءت من بلادها وتعرضت لقضايا أممها ، ولكنها فى نطاق الرواية انما تمثل فكرا عالميا يستوحى النفس الانسانية ويستعرض مشاعرها فالى أى حد يستطيع هذا الفكر أن يطابق النفس العربية المسلمة ، قبولا أو رفضا ، وكيف يجد هذا الشباب السبيل الى الاقتناع بأنه انما يستعرض نفسا مختلفة فى دوافعها وعقائدها ومشاعرها عما يراه فى مجتمعه ويعيشه فى حياته .

ان هذه الكلمات أحيـــانا تدير الرؤوس وتلهب العواطف ، وتدفع الى غايات وأهواء وتصـــور الحيـــاة بصورة قلقة وهى تلتقى مع الشباب المسلم العربى فى مطالع العمر ، وفى سن المراهقة ووســـط أجواء حافلة بالصورة العارية والقصة المكشوفة ، والفيلم الماجن ، والمسرحية الصارخة ، ومن خـــلال مجتمع مختلط فيه الملابس الكاشفة والصدور العارية ، والكلمات الجريئة والزحام الشديد ، والاختلاط الغريب وكل ما يقرأ أو يسمع يعين على الغواية ويدفع الى التقليـــد ويجرىء على التجربة ومن وراء ذلك نتائج قاسية خطيرة .

ان هذا الشباب الريفى الملىء بالحياء والخلق ، قد جاء

الى المدينة ووقع على (كامى وسارتر وفرويد) ومن ورائهم عشرات الكتب والقصص ووجد من يروج لهذا كله ويعرضه فى فصول وكتابات وفى مسرحيات وشعر وقصص ، وهو يريد أن يعرف : هل هـذا كله يمثـل أنفسنا ، أليست النفس الانسانية واحدة ؟ هل نحن فى حل من أن ننطلق وراء الغرب فى دعوته الى الانطلاق حيث لا توجد حدود توقف ولا ابواب تحول ؟ ثم هو لا يلبث ان يجد الكاتب من صميم بلده ودينه ، صورة طبق الأصل بل ربما أشد عنفا من هذا الكاتب الغربى ، فهذا الذى يفترض أن المجتمع كله قد دخـل دائرة الرغبة واللذة ، وأن هـذه الظاهرة التى لا تعدو واحدا فى المائة فى مجتمعاتها قد أصبحت تستوعب المجتمع كله ، وأن الناس لا يلتقون الا ليتحدثوا فى هـذا الأمر ، بل انهم ليسخرون من أولئك الذين ما زالوا مقيدين بقيود الدين والأخلاق !.

هـذه هى القضية التى تتطلب ايضـاحا ، وتسأل عن حل ، وتتطلع الى معرفة وجـه الحقيقة . ومن الحق انها قضية ، بل هى معضلة من معضـلات عصرنا وازمة من أزمات المجتمع الاسلامى فى العصر الحديث .

ولكن لكى نستطيع أن ننظر فى الأمر علينا أن نعرف أبعاد القضية وخلفياتها وتاريخها ، فى العلاقة بين مجتمعنا الاسـلامى العربى وبين مجتمع الغـرب ، وبين الظروف التى حكمت بأن يسيطر الغرب عن طريق الاستعمار على هذه الأرض فيعمل على فرض مفاهيمه وأفكاره ونظرياته فى الاجتماع والأخلاق والنفس والتربية ايمانا منه بأن هذه الامة لا تقاد الا من حيث تجرد أولا من عقائدها ومفاهيمها وأن تحتوى فى دائرة فكر الغرب نفسه حتى يسلس قيادها وتكون تابعة راضية بتبعيتها .

ومن هنا كانت تلك الدعوة الى وحدة الفكر البشرى ووحدة الحضارة ووحدة النفس الانسانية ، ومن ذا الذى يستطيع أن ينكر هـذا كله ، لقد كان ذلك صحيحا ولكن بنى البشر لم يقبلوا هذه الوحدة حين انشأوا فكرا بشريا مختلفا عن الفكر الربانى الذى هدتهم اليه الأديان ورسالات السماء . ومن هنا وقع الخلاف فقد ذهبت النفس الانسانية وراء أهوائهـا وعمدت الى الضوابط التى اقامتهـا الأديان بالحدود والأخلاق حماية لكيان الانسانى نفسه من الانهيار ، فحطمتها باسم التحرر من القيـود . ثم حين ذهبت وراء مطامعها الى التماس متع الحياة على النحو المسرف المندفع دون تقدير لحق الناس جميعا فى هذه المعطيات . ثم حادت عن فهم رسـالة الانسان فى الحيـاة ومسئوليته والأمانة التى وكلت اليه ، فأرادت أن ترى الحياة متعة خالصة تجرى وراءها ، وأن الخطأ والفساد « جبرية » للمجتمع لا حساب للفرد عنها ، وانه ليس وراء هذه الحياة حياة وأن الموت بالمرصاد من وراء الحروب والذرة ، فليندفع الناس الى الحياة يقتحمون متعها قبل أن تزول .

ومن أجل أن تحقق النفس الانسانية أهواءها فقد كان عليها أن تبرر ذلك بالعقل والفلسفة ، فتقطع علاقتها الكاملة بالمسئولية فتنكر ما وراء الواقع المحسوس ، وتعلن كما فعل « نيتشة » « موت الاله » وترى الدين (أفيون الشعوب) وتحتقر الأخلاق وتراها ضعفا وذلة ، وهكذا جاءت الفلسفة المادية لتحرر الانسان من تبعته ومسئوليته وأمانته ، ولتطلقه وراء لذاته واهوائه ومطامعـه : ومن هنـا كانت فلسفة (الماركسية) وفلسفة الجنس (الفرويدية) وبينهما تعيش النفس الانسانية ، ومن هذه المفاهيم يصدر كامى وسارتر وعشرات من كتاب القصة والمسرحية والشعر .

هــذه النفس الانسانية ليست هى النفس المســلمة التى ما تزال تؤمن بالله وتؤمن بمسئولية الانسان فى الحياة وجزائه الأخروى ، وأمانته ، وتؤمن بالضوابط والحــدود والأخــلاق التى تصنع الاطار الذى يتحرك فيــه ، ولهذا فان ذلك كله غريب عليها ، معارض لها ، وهى حين تقرأ ما يكتب هؤلاء ، انما تحس بالدهشـــة ، والدهشة مزيج من الخوف والشوق ، أما الشوق فيصدر عن هذه النفس الشابة فى سن المراهقة المتطلعة الى اللذات والرغائب ، أما الخوف فيصدر عن ذلك الاحساس الداخلى بالايمان بالله والجزاء والحســاب . وهى بين ذلك تتدافع وتتراجــع ولكنهــا لا تسقط الا اذا فقدت عنصر الايمان الذى كونته الأسرة وصنعه الاب والام .

ولقد تتراوح النفس المسلمة بين الخطأ والصواب ، والضــلال والهــدى ، ولكنها اذا ما عرفت الحقيقة التى هى كامنة فى الأعماق ، عادت الى طبيعتهــا وأصالتهــا وفطرتهــا .

هذا هو سر القلق الذى يملأ مشاعر شبابنا حين يقرأ عبارات لكامى أو سارتر أو فرويد تخالف فطرته الاسلامية الأصيلة ، غــير أنه نتيجة عجزه عن معرفة « خلفيات » هؤلاء الكتاب يظن أنهم يكتبون بحسن نية ، والواقع غير ذلك .

فهم أولا يصدرون عن مجتمع مختلف عن مجتمعنا . ومن خلال رد فعــل لتحديات لم نمر بها ، ذلك أن الفكر الدينى الغربى الذى فرضته تفسيرات المسيحية ، وهو ليس مفهوم الدين الحق المنزل ، وانما من عمل القائمين عليها

قد أوجد « سوء فهم » للعلاقة بين الانسان والحيـــاة ، والانسان والمرأة .

ومن هنا ظهرت بادرات الرهبانية التى انكرت التعامل مع المجتمعات كلية والتى افترضت فى المرأة جنســـا غريبا نجسا يحسن تجنبه والانصراف عنه .

هذه القضية : كان لها أبعد الأثر فى تدمير المجتمع الغربى وسقوط الحضارة ، حتى جاء الاسلام وبلغت أشعته أوربا وأعادت مفهوم الارادة الانسانية والعمل ، وكان للعلوم الاسلامية أثرها فى النهضة الغربية الحديثة ، ومن ثم بدأ التحول أيضـــا فى مفهـــوم المرأة التى كرمهـــا الاســـلام وأعاد لها اعتبارها غـــير أن المجتمع الغربى فى اندفاعاته الخطيرة قد تجاوز حدود الاعتدال وانتقل من الثورة على المرأة الى « ثورة الجنس » كما يطلقون عليها الآن ، وجاءت آراء الفلاسفة الماديين دافعة الى الانطلاق والتحرر من كل القيود وجاءت نظرية فرويد الذى رد كل تصرفات الانسان الى الجنس وهـــدد البشرية كلها بخطر الأمراض العصبية اذا ترددت فى الانطلاق .

وهكذا نرى أن المجتمع الغربى له خلفيته فيما نراه اليوم من كتابات وفلسفات وقصص ، التى هى تطبيق للقاعدة المعروفة : رد فعـــل مساو فى القوة ، مختلف فى الغاية ، فقد عاشت أوربا قرونا تحت مفهوم كراهية المرأة ونجاستها وعادت اليوم الى مفهوم الانطلاق فى العلاقة بها الى أبعد الحدود واخراجهـــا من كل الأوضـــاع السليمة للاسرة ، واغرائها بالتعرى والاباحة ، ودفعها الى المواخير وشواطىء

البحار وساحات الرقص واللعب ، تلك قضية الغرب وحده ، وما كان لنا فيها من مشاركة ، ولم تكن هذه القضية واردة فى مجتمعنا الذى كرم المراة واعلى شأنها واقام الأسرة وحماها بالشرف والعرض والكرامة والذى لم يقع فى مشكلة الكبت أو التحلل .

غير أن للقضية بعــدا آخر ، هو دوافع التلمودية الصهيونية ، هــذه الدوافع التى اعلت من شأن الجنس والمادة وجعلت لذلك كله قوانين وفلسفات ومناهج عقلانية ، حتى تبرر وجوده والاستمرار فيه ، ومن هنا نرى أن فلاسفة الجنس كلهم من اليهود والدعاة الى تحطيم نظام الأسرة ، وتحطيم الدين ، وتدمير الأخلاق ، وافساد المجتمعات :

دوركايم وســـارتر وليفى بريل وماركوز بالاضـــافة الى فرويد وماركس ، هذه الخلفية جديرة بأن تكون فى نظر شبابنا وهم يسألون عن هـــذا الركام المتدفق على اللغة العربية والذى يدير الرؤوس لأنه مكتوب على ورق لامع وغلاف أنيق ، وثمن رخيص ، ولأنه يتصل بالنفوس الشابة قبل أن تكتمل قدرتها على الفحص ، وتجربتها التى تعرف بها الزيف والصواب ، فضلا عن القصور الشديد الذى يواجهه مجتمعنا عن وضـــع كتب طيبـــة طلية فى أسلوب عصرى عن معضلات النفس والحياة فى أيدى شبابنا تطرح أمامهم وجهة نظر الاسلام التى تلتقى دائما مع العصر والبيئة ، ولا تجمد أو تتخلف .

ومن الحق أن يقال أن هؤلاء الشـــباب الذين تلمع أسماؤهم اليوم فى ميدان القصة أو الشعر والذين يجرون وراء هذه المدرسة انما بدأوا حياتهم فى فراغ وتساؤل ،

فلما لم يجدوا امامهم فى فكرهم الاسلامى ما يجيب على اسئلتهم ، وجدوا كتابات نيتشة وماركس وفرويد يسيرة بفضل أمثال سلامة موسى وفيلكس فارس وغيرهم فتقبلتها نفوسهم لانها كانت تحس بالفراغ بينما قصرت بيئاتهم وبيوتهم عن أن تمد لهم يد المعونة بالايمان والعلم الصحيح .

واذا كان لنا ان نقول شيئا لأبنائنا الذين يتساءلون عن هذه الفلسفات المطروحة تحت اسم « النفس الانسانية » فانما نقول لهم ان كل ما يبرق أمام أنظارهم ليس ذهبا ، وان الأسماء اللامعة لا تخدعهم ، وان أحدا لم يستطع حتى الآن أن يقول للنفس الانسانية الحق ويكشف لها عن جوهرها ، وهداها ، وطريقها وأمانتها الا هذا الكتاب المنزل بالحق : « القران » .

ان على شبابنا أن يعلم أن كل من يعطيه الرغبات المطلقة ، والكلمات البراقة ، والأهواء الشائقة ، ومطامح الغرائز والشهوات ، انما يضله ويسمم فكره ، ذلك أن حقيقة العطاء انما هى ايمان بمسئولية الانسان فى الحياة ، فى سبيل اقامة المنهج الربانى الذى يحقق الأمن النفسى والسعادة الحقة .

أما هذا العطاء البشرى الذى يقدمه فرويد وسارتر فانه لا يحقق السعادة ولا الأمن النفسى ولكنه يحقق القلق والتمزق والضياع والغثيان ، ذلك لأنه يفصل الانسان عن نفسه ، ويمزق وجوده ، ويقضى على تكامله ، ويعلى من شأن جانب فيه على حساب جانب آخر ، وذلك هو خطر المادية وأهوائها : وهو الطابع الصريح الواضح الآن للادب الوجودى عامة ، هذا الاحساس بالخوف المتمثل

فى أن الانسان وحده فى هذه الدنيا ، وذلك الخوف من الموت ، وتلك المشاعر القلقة المضطربة ، انما مصـــدرها الحقيقى هو انفصال الشخصية ، وانكار الايمان بالله ، ذلك ان الانسان فى تكوين ذاته نفس وجســد وعقــل وقلب ومادة وروح ، فاذا جاءت الفلسفات المادية لتقول ان الانسان نفس وعقل ومادة فقد شـــطرت الانسان واعلت منه جانبا وتجاهلت الجانب الآخر ، هــذا الجانب لا يموت ولكنه يظل يرسل احاسيسه ويملا صاحبه غما وقلقا واضطرابا ، لانه جانب موجود وله حق الحياة وتلك هى أزمة الحضارة والانسان المعاصر . أما المسلم فان موقفه من ذلك يختلف تماما ، فالمسلم يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى خلقه من طين ثم نفخ فيه من روحه فهو متكامل التشكل : مادة وروحا ، لا سبيل الى اعلاء جانب منه على الآخر ، بل هو فى الحقيقة حين يؤمن ينتقل من المادة الى الروح فيكون قادرا على البذل والعطاء ، وتلك هى قدرته على التسامى من الفردية الى الغيرية ، ولكنه فى مفهوم الاسلام أيضا له حق الحياة والمتاع بها دون انفصال عنها أو عزلة عن المجتمع ، فهو متكامل جامع ، وهو فى فهمه للحياة وتحركه فيها انما يجمع دائما بين الزمنى والروحى والمطلق والنسبى ، واللا نهائى والمحدود ، يجمع بين معطيات الدنيا وخلود الآخرة .

تلك مقدمات يســيرة بين يدى تساؤلات الشـــباب فى مواجهة الفكر البشرى من فلسفات ومفاهيم .

* * *

يرسم الاسلام الطريق الى تكوين الأجيال على نحو غاية فى الأصالة وغاية فى التقدم فى نفس الوقت ، فهو لا يدعو الى تربية مغلقة جافة أو الى تقليد الآباء ، وهو فى نفس الوقت لا يطلق الأجيـال دون أن تأخـذ قدرا من الحصانة والحماية وفهم الوجهة والغاية .

ومن هنـا فان التربية الاسلامية تختلف فى منهجها عن التربية التى تقدمها المناهج والمذاهب العالمية على السواء فى انهـا تجمـع بين الدائرة الثابتـة والدائرة المتحركة . وذلك حتى لا تنفصـل الشخصية الانسانية عن جـذورها التى شكلتهـا الأديان والعقـائد والقيم والبيئة ، ثم تكون لها القدرة من خلال هذا الاطار الثابت المرن على تقبل روح العصر من نمو وحركة وتطور وتقدم وعصرية ، شريطـة أن يكون روح العصر قادرا على التشكيل والانصهار داخل اطار روح الأمة الأصيل .

وتلك قاعدة أساسية من قواعد الفكر الاسلامى تقوم على التـكامل والنظرة الجامعـة ، وعلى ترابط العناصر وتفاعلها بحيث لا يطغى عنصر منها على الآخر ولا يستعلى وبحيث تحقق فى مجموعها الاستجابة لتركيب الانسان نفسه الجامع بين المادة والروح والعقل والقلب .

وعنصر الثبات دائما يتصل بالانسان وبخالقه وبالكون وبالتـــاريخ وبأول الاشـــياء وبالقرآن وبالفطرة وبالدين ، أما عنصر الحركة المتغير فهو يجعله دائما قادرا على الحياة فى البيئة والعصر مع ظروف التحول والتغير والتطور .

وفى التربية تقـــوم القاعـــدة الاسلامية على ركيزتين متوازنتين :

الأولى : اعطاء الابناء قدرة على الحركة الى المستقبل .

الثانية : اعطاء الابناء قوة على الثبـــات داخل قيم الدين والاخلاق .

وبغير هذا الترابط الجامع يسقط أعظم عامل من عوامل السلامة والقوة فى بناء الأمم ، وهو عامل « الامن النفسى » الذى اختفى تماما من الأمم التى اتخذت من المناهج البشرية الجزئية والانشطارية منهجا للحياة وللتربية .

وذلك لأن هـــذه الامم قد قبلت مبدأ التغـــير الدائم ، والتحول المستمر ، ففقدت قاعدتهـــا الأصيلة ، ومحورها الذى تدور فى فلكه ، وبذلك ذهبت بعيدا فى « تيه » من العسير استعادتها منه .

ولا ريب أن النظرة الاسلامية الجامعة (وهى نظرة ربانية) هى أقرب ما تكون الى سلامة القصد ، وأكثر ما تكون قوة على حماية البناء الاجتماعى كله من أن يتبدد أو ينهار أو تتدافعه الرياح الهوج .

والمسلمون يؤمنون بالتقاء الأجيال وتكامل الاجيال ولا يؤمنون بصراع الأجيال . وهم يفرقون بين فريضة تقديم للتجربة الكاملة من اهل جيل سابق الى جيل جديد ، وبين ما يوصف بانه « وصاية » على الأجيال الجديدة .

ذلك أن من حق الأجيال الجديدة على الاجيال السابقة :
أمرين :

امانة التجربة والالتزام باضاءة الطريق أمام النشء النامى حتى يستطيع أن يمتلك ارادته ، ولفت نظره الى ما فى الطريق من عقبات ، أما الجيل الجديد فمن حقه أن يقبل التجربة القديمة أو ينقدها ، ولكنه لا بد أن يبنى على نفس الأساس وان كان من شأنه أن يجدد أو يغير فى الفروع والجزئيات . أما جوهر البناء فهو ملتزم به لانه ليس ميراثا عن الآباء فحسب ، ولكن لانه الى ذلك قائم على دعامة منهج أصيل متميز ، ربانى غير وضعى ولا بشرى ، ويجب ان لا يدفعنا أى دافع الى التضحية بهذا الأساس ازاء وهم أو بريق خادع من شأنه أن يخرجنا عن الاطار والضوابط والحدود التى رسمها لنا الاسلام .

ويقضى تكوين الأجيال : أن تتوازى فيه عوامل ثلاثة :

قدر من الايمان ، وقدر من الثقافة ، وقدر من التجربة .

١ — فالايمان هو العامل الأول الذى يضىء القلب ويكشف عن المهمة الحقيقية للانسان فى الأرض ، لماذا جاء ؟ وما هى أمانته ؟ ورسالته وغايته ومسؤوليته . هذا القدر

من الايمان لا يعطيه الا الدين الحق ، والقرآن هو العامل الأول فى بناء العقيدة وكشف الوجهة وتزكية النفس والقلب .

٢ — ثم يجىء العامل الثانى وهو الثقافة الأصيلة التى تكشف للعقل عن دوره ومهمته فى ضوء التوحيد والايمان والوحى ، وتبسط أمامه الآفاق الواضحة لدور المسلم فى الحياة ، وللتحديات التى تواجهه فى هذا العصر وفى كل عصر حتى يعرف مدى المسؤولية الملقاة عليه ، ومدى الخطر المحدق بأمته وأرضه وعقيدته .

٣ — ثم يجىء العامل الثالث وهو التجربة التى تتكون مع ارتفاع السن والعمل ، والاتصال بالمجتمع والناس . ومن شأنها أن تزيد الايمان والثقافة عمقا وأن تمنحها الرصيد الذى يؤكد الحقائق ويزيدها ثباتا فى النفس والعقل .

فاذا خرج الجيل الجديد الى الحياة دون أن نزوده بالايمان فاننا نكون قد فتحنا الطريق أمام الفكر البشرى ليغزو هذه النفس الناشئة وليملا هذا الفراغ الذى عجزت عن ملئه الأسرة والابوة والقدوة .

ومن هنا يبدأ الانحراف ويبدأ الخطر ، ثم تكون الثقافة الزائفة الملقاة على الأرصفة هى الزاد حيث لم نهيىء له الزاد الأصيل .

وفى القصة والرواية والفلسفات شبهات واخطار وصور براقة تنفذ بسرعة الى القلب الغض والخيال الساذج ، وتجد قبولا لأنها ترضى الغريزة والهوى والنفس الامارة ، ومن ثم تحجب الطريق الصحيح .

ثم لا تكون التجربة بعـــد ذلك الا فى مجالات الاهواء واللذات والرغائب الصغيرة وهكذا تتعرض الأجيال الجديدة للخطر الذى يجعلهـــا تتنكب طريق الخـــير فلا تعطى لأمتها ما تتطلع اليه من قوة دافعـــة بل تكون عامـــلا من عوامل الهزيمة والانحراف .

ومن شأن التربية الاسلامية أن تنقل الأجيال من الانانية الى الغيرية ، ومن التطلعات الفردية الى خدمة الجماعة فالأمة والرسالة ، فلا يكون الانسان دائرا فى اطار ذاته وأهوائه ورغائبه ، ولكنه يكون فى خدمة هدف ورسالة وغاية تستوعب كل وقته وفكره وحياته ، ولا يتحقق هذا الا اذا فهم الأبناء مسئوليتهم ازاء ربهم وأمتهم وجيلهم . فليست الحياة متعة تساق ، ولا لذة تبتغى ، ولا تطلعا الى شهرة أو مال أو مجد شخصى ، وانما هى « رسالة » ومسئولية والتزام وأمانة ، الخدمة فيها موجهة باسم الحق تبارك وتعالى لاقامة المجتمع الكريم الذى يحقق منهج الله فى الأرض .

ان اخطر ما يواجه الأجيال فى مطالع الحياة : خطر يتصـــل بالعقيدة وخطر يتصـــل بالغريزة ، وفى الفلسفات المنثورة تبرير للانحرافين ، وفى التربيـــة الأصيلة فى مجال الأسرة منذ أول الخطو الحماية والحياطة واقامة الجـــدار المكين الذى يحفظ العقل والنفس جميعا من مهاوى التدمير التى تواجه الأجيال . فاذا أمكن هذا التكوين السليم حفظ النفس والعقل جميعا من أن يستعلى شىء على العقيدة ، فلا ترى النفس فى تلك الصورة البراقة الزاهية ما يخلب لبها أو يخدعهـــا ، ذلك ان أول عوامل الوهن أن يحس المسلم بتصوره وتصور مجتمعه وأمته عن الأمم الاخرى ، فيخدع

بالظن بأن هذا التخلف مرتبط بهذه العقيدة وما هو كذلك ، ذلك أن الحقيقة هى أن التراخى عن العقيدة هو الذى أحدث التخلف وليس العكس .

ولذلك فان أول البنـــاء فى تكوين الأجيال هو الايمان بذاتية خاصة لها قيمها ووجودها وكيانها وتاريخها ، مختلفة عن غيرها ، وان هذا التخلف القائم هو مرحلة من المراحل ، جاءت بعـــد مراحل من القوة والتمكن ، شأن دورة الحياة والتـــاريخ بكل الأمم والشـــعوب ، وانهـــا حالة مؤقتة ، وأن الالتزام بالأصـــل والجـــوهر الربانى ، من شـــأنه أن ينهى هذه المرحلة ويرد المسلمين مرة أخرى الى مكانهم فى تاريخ البشرية وان ما يطيـــل أمد التخلف هو التماس مناهج الآخرين .

ان منهج الاســـلام جماع للروح والمادة ، والعقـــل والروح ، والدنيـــا والآخرة ، وهو وسيلتهم الى النجـــاح وسبيلهم الى التمكن ، وليس لهم من دونه طريق أو سبيل ، تلك هى أمانة الأجيال الحقة التى يجب أن يقدمها لهم هذا الجيل ليكونوا من بعد قادرين على الدفاع عنها والحفاظ عليها والقيام بها .

* * *

(٣)

ان السـؤال الذى هو بمثابة اكبر معضلات العصر هو موقف شبابنا ازاء هـذا الفيض المتدفق من النظريات والمعلومات والأفكار عن طريق الصحافة والاذاعة والكتب العربية المترجمة والقصص وما يدرس فى مدرجات الجامعات وما تتناوله الكتب الرخيصة المنثورة على الأرصفة وعلى اسوار الحـدائق وكيف يواجه شبابنا ذلك الركام الهـائل المعروض عليهم عرضا حرا مطلقـا كأنما هو من المسلمات، او الحقائق الثابتة .

اذا اردنا أن نعـرف ما هى الأدوات التى يمتلكهـا هذا الشباب للحكم على ما يقدم له لم نجـد اكثر من قدرة يسـيرة على القراءة ونفوس غضة متطلعة الى كل طريف، وجميـل وملون وانيق ، وخاصة اذا صحبته اسماء لامعة مثـل فرويد أو سـارتر وبودلير وكافكا . كيف يستطيع أن يكتشف الحقيقـة ويعرف الأصـيل من الزائف وقدرته العقلية يسيرة ، ومحصوله العلمى قليل ، وذخيرته الفكرية والروحيـة والدينية بسيطة ، وعنصر الحرص من الخطر معدوم تماما .

ان شـبابنا يقبـل ببساطـة على هـذا الركام ، وهو مستسلم له تماما خالى الذهن من تلك المعركة الضخمة

الدائرة من وراء هذه المطبوعات ، والتى ترمى الى اغراقه واحتوائه والقضاء على كيانه واستلاب قدراته التى وهبتها له أمته من أجل الدفاع عن القيم والمقدسات المعرضة للخطر .

لذلك فان القراءة الآن اصبحت فنا خطيرا وامانة الكاتب موضوعة الآن فى الميزان ومسئولية القارىء يجب أن تكون واضحة ازاء ما يكتب وما يقدم .

ان خطر الأجنبى المترجم ليس أقل أثرا من الغربى المكتوب بالعربية والمقدم للشباب على أنه نتاج عربى .

وهذا الغربى المكتوب باللغة العربية وبأقلام عربية ، ما مدى أصالته ، وما مدى سلامته وما مدى ايمان أصحابه بأمتهم وبأمانتهم لها . لقد أصبح هناك صنفان من الكتابات أحدهما ولاؤه للفكر الغربى بمفهومه ديمقراطيا ووجوديا قائما على الفردية والفكر الحر ومتداخلا مع المادية والجنس واحياء الوثنية الاباحية الهلينية وهذا الفكر يحاول أن يتعرض للاسلام ولتاريخ الاسلام ولشريعة الاسلام باثارة الشبهات وبالدعوة الى استغلالها لتبرير الواقع وتبرير الحضارة التى تمر بمرحلة الأزمة الصاعقة . والتى تقدم أسوأ معطياتها اليوم وأقسى صور حياتها فى صورة الوجودية والهيبية الناقمة المنحرفة الرافضة لكل قيم المجتمعات وضوابطها .

ومن الكتابات ما نجد وراءها الفكر الماركسى المادى بمفهومه المنحرف الداعى الى صراع الطبقات المحرضة على الهدم والتدمير والدماء والقائم على الجماعية التى تحتقر الفرد ولا ترى الا أنه ترس فى آلة ، والتى تنكر الأسرة والزواج وتنظر الى الأخلاق والدين والصلة بالله وبالسماء

نظرتهـــا الرافضة المحبوسة فى حـــدود المحسوس والمادى وهى تحاول أن تفرض فلسفتها هذه على المجتمع الاسلامى وتعمل على تفسير التاريخ تفسيرا ماديا ، محدودا ، قاصرا لا يعترف بالروح ولا بالمعنويات .

ومن عجب الا يتوقف هذا التيار الصاعق عند دعوته ولكن يقتحم الفكر الاسلامى ليفرض منهجه المادى عليه ، ومن هذه المحاولات الخطرة :

أولا : اقامة جســـور وقناطر بين الفـــكرة الاسلامية والنظريات الغربيـــة ، ماركسية ووجودية وديمقراطيـــة ، بدعوى أن الاسلام فيه ديمقراطية وعدالة اجتماعية واعتراف بالفردية .

ثانيا : محاولة تفسير التاريخ الاسلامى تفسيرا ماديا ماركسيا يحاول أن يتبع العوامل الاقتصادية ليجعل منا نقطا لتحرك التـــاريخ الاسلامى أو اتخاذ التفسير المادى المنـــكر للغيب والنبوة وما وراء المادة أساسا للتفسير .

ثالثا : محاولة لوضــــع الشريعة الاسلامية فى مجال تبرير الواقع المعاصر فى الأمم والحضارات المعاصرة وذلك بالقول بأن الشريعة الاسلامية مرنة وقابلة للحضارات وتغيرات العصور والأزمان ، وانها تقـــوم على أساس قواعد عامة ترتضى القوانين الوضعية مع تعديلات يسيرة .

ولا ريب أن هـــذه كلها مؤامرات زائفة ، ومحاولات مغلوطة ، تقسر الشريعة الاسلامية والمفهوم الاسلامى على الانصهار فى بوتقة الحضارة القائمة بكل فسادها وانحلالها

وتبريرها من ناحية والقبول بها من ناحية ذاتية الاسلام المفردة ذات الطابع المفرد واهم من ذلك كله القضاء على الطابع الخاص المتميز الذى يختلف اختلافا واضحا عن الواقع الاسلامى المعاش والمستمد من الحضارة الغربية التى شكلتها مفاهيم الوثنية اليونانية والقوانين الرومانية وتفسيرات المسيحية الغربية بما فيها الخطيئة الأصلية والفصل بين الدين والدولة ، والقول بالتطور المطلق ونسبية الأخلاق .

* * *

ان الماركسيين يحاولون خداع المسلمين بأن الماركسية والاسلام يلتقيان فى العدل الاجتماعى وان الغربيين الليبراليين يحاولون خداع المسلمين بأن الديمقراطية والاسلام يلتقيان فى الشورى التى تسمى فى الديمقراطية التمثيل النيابى وكلا الأمرين فيه تمويه وزيف كثير فلا العدل الاجتماعى فى الاسلام مشابه للماركسية ولا الشورى مشابهة للتمثيل النيابى .

ونحن نعرف أن الاستعمار والصهيونية والماركسية يتعاونون على هدف واحد وان اختلفوا فى مطامع السيطرة ، هذا الهدف هو تدمير المعنوية والأصالة والذاتية فى الامة الاسلامية حتى تخضع وتدخل دائرة الاحتواء وتنصهر فى الأتون اللعين ، أتون الأممية . ومن ثم تفقد ذلك الشيء الذى يميزها ويجعلها أمة لها قدرتها الخاصة على اقامة كلمة الله ، وعلى العمل لاقامة المجتمع الربانى .

جاء الاستعمار وهدفه احلال مخطط جديد وفكر جديد مختلف فى الغاية والوجهة ، هو ادخال المسلمين فى الدائرة الغربية المغلقة ، واخراجهم من الدائرة الربانية الموسعة الجامعة ، مستهدفا حصرهم واحتواءهم ، ولقد جرب الغرب اسلوبه فى الديمقراطية الغربية واحس العالم الاسلامى

أنهـــا جسم غريب ، ثم جاءت الموجة الأخـــرى المتابعة لها وهى الماركسية ورفضها الجسم الاسلامى والعقل الاسلامى ، واثبت الروح الاسلامى أنه غير قابل للاحتـــواء والانصهار فى أى النظامين ، غــــير أن التجربة المظلمة : تجربة تطبيق النظام الغربى فى المجتمـــع والتعليم والسياسة والاقتصـــاد والقانون كانت مصدرا للهزائم المتوالية التى وقعت فيها المنطقة العربية ، نكبة ونكسة وهزيمة ، واحتلال فلسطين والقدس ، كانت أفـــكار القومية والاقليمية والتجزئة مصـــدر التمزق والهزيمة ، لقد كانت الهزيمة نتيجة هجر المنهج الاسلامى ، منهـــج الأصالة والذاتية ، والانصـــهار فى مناهج الغـــرب التى لم تكن صالحة لأهلها أو محققة لهم قيام المجتمع الامثل ، ان الذى هزم هو التخطيط العســـكرى والسياسى الوافد ، أما الاسلام فانه لم يكن موجودا أو مطبقا حتى تنسب الهزيمة اليه ، بل كان قد أبعد تماما وحوصر .

ان التجربة التى بدات بالاحتلال الغربى وانتهت بهزيمة ١٩٦٧ م يجب أن تضع تحت أعيننا رصيدا ضخما من الوعى واليقظة والحذر ، تجاه فكرة تقليد الغرب بشقيه ، أنماط الغرب ، الترف ، الاستهلاك ، الانحلال ، التمزق ، الغربة ، الغثيان ، كلها هى ميراث هـــذا الفكر الغربى الوافد الذى يقدم لنا عن طريقين : عن طريق مترجمات غثة رديئة ، لا تختار الا الاباحيات والسموم والانحراف وتدع كل ما هو ايجابى وصالح ونافع ، لم تقدم هذا على أنه مسلمات وحقائق ، بينما هو لم يبلغ درجـــة النظرية ، وليس درجة العـــلم انما هو ركام شديد السوء تقدمه أقلام مليئة بالحقد والكراهية والتعصب ، مدفوعة الى تدمير المجتمعات وهزيمة القيم واثارة الشبهات والشهوات والاباحيات .

لقد علمنا الاسلام أن نقف من المعارف المعروضة علينا موقف التعرف الصحيح على قيمها الحقيقية ، وعلى مصادرها ، وعما اذا كانت نافعة أم ضارة ، ايجابية ام سلبية ، وأن علينا أن نرفض الزيف والتفاهات وان ننبه عليها .

وأن نعرف أن لنا من العلوم موقفا ومن الثقافات الأممية موقفا ، ومن هـذا الركام الزائف المنشـور فى كتيبات تباع على الأسوار موقفا آخر ، وعلينا أن نعرف الفرق بين العلوم والفلسفات ، فالفلسفات نظريات فردية قوامها فروض تصح وتخطىء ، وهى مرتبطة عادة ببيئتها وعصورها ، وليست صالحة لعصور أو بيئات أخرى لأن جانبها الذاتى بالاضافة الى صدورها عن تحديات مجتمعها وعصرها وأمور مجتمعها كل هذا يجعلها اقل صلاحية لأن تكون انسانية او عامة .

والعلوم التجريبية شىء غير الفلسفات وغير الثقافات ، ومن حق الشباب علينا أن نقدم له مترجمات عن الفكر الغربى ولكنها يجب أن تكون مسبوقة باستعراض لها ، فاذا قدمنا لهم ماركس أو سارتر ، أو هيجل ، أو فرويد ، فعلينا أن نقدم ذلك فى اطار عصره وفكره ، وأن نقدم أيضا وجهة نظر فكرنا فى هذا العمل او ذاك . ذلك أن للفكر الاسلامى منهجه ومنطلقه وطابعه الخـاص به ، وهو مختلف عن مناهج ومنطلقـات وخواص وطوابع الفكر العربى : الذى مر بمراحل مختلفة ، وتركز فى صور عديدة ، منها الاقتصاد والنفس ، والاجتماع والقانون ، وكلها تختلف عن مفهوم الاسلام .

فلنكن على حذر مما يقدم الينا من هذه المترجمات .

أما ما تكتبه الأقلام العربية من مصدر ولاء للفكر الغربى

أو الفكر الماركسى ، فان علينا أن نعرف موقف الاسلام من كل ما يقدم ، والا تختلط علينا المفاهيم فتجرفنا الى ما يخرجنا من طوابعنا وذاتيتنا ، حتى لا نسقط فى فخ الفكر العالمى ، الأممى الذى يستهدف صهرنا واذابتنا فى بوتقته حتى تضيع تلك الصفة الخاصة التى يتميز بها المسلمون :

وتلك هى أخطر التحديات التى تواجه « الأصالة » .

* * *

حلقـــة جــديدة

فى دائرة الضــــوء

دعـــوة صريحة الى المؤرخين والكتاب

انشروا مــذكرات سعد زغلــول

لتكشفوا حقيقة هذه الشخصية الخادعة

ولتضعوه فى مكانه الصحيح من تاريخ

مصر والعرب والاســــلام . . .

* * *

تصـــدر قريبـــا

دار العلوم للطباعة
القاهرة ، ٨ شارع حسين حجازي (القصر العيني)
ت : ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب ٧٨/٤٩٣٢
الترقيم الدولى ٥ — ٤٠ — ٧٣٠١ — ١٩٧٧